٧-١١

مكاشفة القلوب

المقرّب إلى حضرة علّام الغيوب

لحجّة الإسلام أبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي

(مختصر من المكاشفة الكبرى)

قدّم للكتاب وعرّف بالمؤلف

الدكتور الشيخ محمّد رشيد القبّاني
أستاذ الشريعة الإسلاميّة بكليّة الحقوق
بجامعة بيروت العربيّة

خرّج آياته وراجعه وصحّحه

الأستاذ بهيج غزّاوي

٢١ ٧٠٦ ٢٦ ت

دار إحياء العلوم
بيروت

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

حقوق الطبع محفوظة لدار إحياء العلوم
ص.ب: ٥٧٥١ - بيروت، لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه، ومن اهتدى بهُداه، وبعد:

فهذا كتاب «مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علّام الغيوب». وهو مختصر كتاب «مكاشفة القلوب الأكبر» للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله، وهو يشتمل على مائة وأحد عشر باباً في بيان السلوك والأخلاق، وفضائل الأعمال، والطاعات وفعلها، والمعاصي واجتنابها، وأحوال الدنيا، والموت، والقبر، والآخرة، والحساب وما فيه من ثواب أو عذاب.

وقد بدأ الغزالي رحمه الله في كل باب فبين موضوعه وعرَّف مضمونه، ثم ساق الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الواردة في ذلك، ثم أتبع ذلك كله بأقوال وآثار وحكايات عن بعض الصحابة والتابعين والصالحين، توقظ النفوس، وتجلي القلوب، وتذكر بالله وعظمته، وجلاله وقدرِه، وتصريفه في خلقه. وقد نهج الغزالي رحمه الله في كتابه هذا على نصوص القرآن والسنة، اللذين قال فيهما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي».

وفقنا الله للعمل بكتابه، وسنة نبيه، عقيدة، وشريعة، وخلقاً، وسلوكاً، ومنهج مجتمع وحياة، لنكون كما أرادنا الله خير أمة أخرجت للناس، ونسأله تعالى أن يهدينا بهُداه، وأن يرحمنا برحمته، وأن يغفر لنا، ولوالدينا، ولسائر المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني
أستاذ الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق
في جامعة بيروت العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة حياة الإمام الغزالي

الإمام الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي[١]، ولد بطوس[٢]، سنة خمسين وأربعمائة.

ويحكى أن والده كان صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده، يعمل في غزل الصوف ويبيعه في دكانه؛ ولما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف ومن أهل الخير وقال له: إن لي لتأسُّفاً عظيماً على تعلم الخط، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فعلِّمهما، ولا عليك أن تُنفِذَ في ذلك جميع ما أخلفه لهما. فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فنيَ ذلك النزر اليسير الذي خلّفه لهما أبوهما، فقال لهما: إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر، لا مال لي أواسيكما به، فأرى أن تلجأا إلى مدرسة، فإنكما من طلبة العلم، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما، ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما. وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢١٦.
(٢) طوس: مدينة في «خرسان» من بلاد فارس.

وفقنا الله للعمل بكتابه، وسنة نبيه، عقيدة، وشريعة، وخلقاً، وسلوكاً، ومنهج مجتمع وحياة، لنكون كما أرادنا الله خير أمة أخرجت للناس، ونسأله تعالى أن يهدينا بهُداه، وأن يرحمنا برحمته، وأن يغفر لنا، ولوالدينا، ولسائر المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني
أستاذ الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق
في جامعة بيروت العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة حياة الإمام الغزالي

الإمام الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي[١]، ولد بطوس[٢]، سنة خمسين وأربعمائة.

ويحكى أن والده كان صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده، يعمل في غزل الصوف ويبيعه في دكانه؛ ولما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف ومن أهل الخير وقال له: إن لي لتأسُّفاً عظيماً على تعلم الخط، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فعلِّمهما، ولا عليك أن تُنفِذَ في ذلك جميع ما أخلفه لهما. فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فنيَ ذلك النزر اليسير الذي خلّفه لهما أبوهما، فقال لهما: إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر، لا مال لي أواسيكما به، فأرى أن تلجأا إلى مدرسة، فإنكما من طلبة العلم، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما، ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما. وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢١٦.
(٢) طوس: مدينة في «خرسان» من بلاد فارس.

وقد كان والد الغزالي رحمه الله يطوف على المتفقِّهة، ويجالسهم، ويتوفَّر على خدمتهم، ويَجِدُّ في الإحسان إليهم، والنفقة بما يمكنه عليهم، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرَّع، وسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً، ويجعله فقيهاً، فاستجاب الله دعْوَتَيه، أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه؛ وأما أحمد فكان واعظاً، تلينُ الصُمُّ الصخور عند سماع تحذيره، وترتعد فرائِصُ الحاضرين في مجالس تذكيره[1].

قرأ الغزالي في صباه طرفاً من الفقه على أحمد محمد الراذكاني[2]، ثم قدم بعد ذلك إلى نيسابور، ولازم إمام الحرَمَيْن أبي المعالي الجُوَيني، وجدَّ واجتهد حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة، والفلسفة، وأحكَمَ كل ذلك، وفهم كلام أهل هذه العلوم، وتصدى للردّ عليهم وإبطال دعاويهم، وصنَّفَ في كل فن من هذه العلوم كُتباً أحسنَ تأليفها، وأجاد وضعها.

وكان الغزالي رضي الله عنه شديد الذكاء، سديد النظر، قويَّ الحافظة، بعيد الغَوْر، غوَّاصاً على المعاني، مُناظِراً مِحْجاجاً[3].

ولما مات إمام الحرَمَيْن «الجُوَيني» خرج الغزالي قاصداً الوزير «نظام الملك». وكان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقَّاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل، وولاه تدريس مدرسته «النظّامية» ببغداد سنة أربعٍ وثمانين وأربعما[4]،

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٠٢، ١٠٣.
(٢) الراذكاني: نسبة إلى «الراذكان» وهي بلدة بنواحي طوس.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٠٣.
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢١٦.

فقدمها في تجمُّل كبير، وتلقَّاه الناس، ونفذت كلمته، وعظمت حشمته حتى غلبت على حشمة الأمراء والوزراء[1]، وأعجب الخلقَ حسنُ كلامه، وكمالُ فضله، وفصاحةُ لسانه، ونُكَتُه الدقيقة، وإشاراته اللطيفة، وأحبوه. وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفُتيا والتصنيف مُدةً، عظيم الجاه، عالي الرتبة، مسموع الكلمة، مشهور الاسم، تضرب به الأمثال، وتُشد إليه الرحال، حتى شَرُفَت نفسه عن كل جاه، وترك ذلك كله وراء ظهره ورحل إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فخرج إلى الحج في شهر ذي الحجة سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة (٤٨٨ هجرية)، واستناب أخاه في التدريس ببغداد.

ودخل دمشق بعد عودته من الحج في سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة (٤٨٩ هجرية)، فلبث فيها أياماً يسيرة، ثم توجه إلى بيت المقدس، فجاور ربه مدةً، ثم عاد إلى دمشق، واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع، وبها كانت إقامته[2].

وقد صادف دخوله يوماً المدرسة الأمينة فوجد المدرس يقول: قال الغزالي وهو يدرس كلامه فخشي الغزالي على نفسه العجَبَ ففارق دمشق، وأخذ يجول في البلاد، فدخل مصر، وتوجه إلى الإسكندرية، فأقام بها مدة، وقيل إنه عزم على المضي إلى السلطان يوسف بن تاشفين سلطان المغرب لِما بلغه من عدله، فبلغه موته، واستمر يجول في البلدان حتى عاد إلى خراسان ودرَّس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة، ثم رجع إلى

(١) طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٢٤٤.
(٢) المرجع السابق ٤/ ١٠٤.